الدرس الرابع: أدوات جمع المعلومات والبيانات.

الهدف: على أهمية استخدام المنهج/ المناهج في دراسة الظواهر الاجتماعية بما فيها السياسية، باعتباره المسلك المعتمد خصيصاً لفحص ورصد الظواهر والمعارف المُستكشفة حديثاً، وإخضاعها لتصحيح المعلومات وتكميلها. ويتطلب على الباحث عندما يقرر ببحث في مجال معين استخدام أدوات منهجية تؤمن له البيانات اللازمة لمعالجة مشكلته البحثية، وفحص الفرضيات التي صاغها بشكل علمي. وعليه أن يختار أداة البحث المناسبة لهذا المجال، وهو ما يعني ضرورة أن يكون مطلعا على هذه الأدوات ويقوم بدراستها بشكل كامل حتى يستطيع اختيار الأداة التي تناسب بحثه. وتلعب أداة البحث دورا كبيرا في الوصول بالبحث إلى بر الأمان، لذلك يجب أن يكون الباحث حريصا في اختيار الأداة، وتلعب الخبرة دورا كبيرا في تحديد قدرة الباحث على اختيار الأداة المناسبة لبحثه.[1]

توطئة: في البدء لابد من الاشارة الى ان هذه الأدوات ترتكز على قواعد ومبادئ محددة تساعد في جمع المعلومات المطلوبة من وحدات البحث العلمي. وعلى تعددها واختلاف خصائصها وميزاتها الإيجابية والسلبية، إلا أنها تشترك جميعا في كونها وسيلة أساسية تساعد الباحث في جمع ما يهمه من معلومات تخدم بحثه بالدرجة الأولى، فقط يتوقف اختياره لأداة أو أكثر على مجموعة من العوامل نوجزها في:[2]

– طبيعة البحث ومدى ملائمة طريقة جنع البيانات.

– طبيعة المجتمع وعينة الدراسة.

– ظروف الباحث وقدراته المالية والوقت المتاح له.

– مدى معرفته بالطريقة أو الأداة.

ولقد تم الاتفاق بين الباحثين على تحديده الأدوات في: الملاحظة، المقابلة، الاستمارة وهناك من يضيف الوثائق والخرائط والرسوم.

أولا.الملاحظة:

تعد الملاحظة من أقدم وسائل جمع المعلومات، ومن أهم أدوات البحث العلمي، فهي عبارة عن تفاعل وتبادل بيانات بين الباحث والمبحوث بغرض جمع المعلومات المحددة حول موضوع معين.

تستخدم في البحوث الاجتماعية عامة وكذا البحوث السياسية، فهناك بعض أنماط السلوك والتفاعل السياسي والاجتماعي التي لا يمكن فهمها فهما دقيقا إلا باستخدام هذه الأداة، مثل دراسة تأثير زعيم سياسي وخطاباته في مستمعيه، أو دراسة أعمال العنف السياسي، التفاعلات داخل تنظيمات سياسية معينة(حزب سياسي).[3]

1– في تعريف الملاحظة:

تعددت التعريفات التي أعطيت للملاحظة ويمكن الإشارة إلى بعضها:

في اللغة: ورد في كتاب لسان العرب لابن منظور: "الملاحظة مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ".[4]

أما في الاصطلاح، فقد تعددت تعريفاتها في كتب مناهج البحث العلمي منهم من تناولها بالمفهوم العام ومنهم من تناولها بالمفهوم الخاص وقصد الملاحظة العلمية، كما يلي:

– عرفها كارترجود بأنها:" الوسيلة التي نحاول بها التحقق من السلوك الظاهري للأشخاص، وذلك بمشاهدتهم وهم يعبرون عن أنفسهم في مختلف الظروف والمواقف التي اختيرت لتمثل ظروف الحياة العادية أو لتمثل مجموعة خاصة من العوامل".[5]

– وعرفها عبيدات بأنها "وسيلة يستخدمها الإنسان العادي في اكتسابه لخبراته ومعلوماته(...)، ولكن الباحث حيث يلاحظ فإنه يتبع منهجا معينا يجعل من ملاحظته أساسا لمعرفة واعية أو فهم دقيق لظاهرة معينة".[6]

– "عملية مراقبة لسلوك الظواهر والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية، ومتابعة يسرها واتجاهها وعلاقاتها، بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف، بقصد تفسير العلاقة بين المكونات والتنبؤ بسلوك الظاهرة أو الحدث وتوجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية متطلباته".[7]

– أما الدكتور العساف فقد ربطها بقرينة البحث العلمي وتعني حسبه" الانتباه المقصود والموجه اتجاه سلوك فردي أو جماعي بقصد متابعته ورصد تغيراته ليتمكن الباحث بذلك من وصف سلوك فقط أو وصفه وتحليله أو وصفه وتقويمه".[8]

2– العوامل الواجب مراعاتها عند استخدام الملاحظة:

هناك عوامل رئيسةٌ ومهمَّة تساعد على الحصول على بيانات ومعلومات دقيقة بالملاحظة على الباحث أخذها باعتباره عند استخدامه هذه الأداة أو الوسيلة، من أبرزها:[9]

– تحديد الجوانب التي ستخضع للملاحظة، وهذا يكون بمعرفة مسبقة وواسعة عن الظاهرة موضوع الملاحظة.

– اختبار الأهداف العامَّة والمحدَّدة مسبقاً بملاحظاتٍ عامة للظاهرة.

– تحديد طريقة تسجيل نتائج الملاحظة بتحديد الوحدة الإحصائيَّة والبيانيَّة التي ستستخدم في تسجيل نتائج المشاهدات.

– تحديد وتصنيف ما يراد تسجيلُه من بيانات ومعلوماتٍ عن الظاهرة موضوع الملاحظة تصنيفاً رقميّاً أو وصفيّاً، وتدوين بعض تفسيراتها في نفس وقت مشاهدتها وحدوثها.

– ترتيب الظواهر بشكلٍ مستقلٍّ.

– تدرُّب جيد على آلات ووسائل تسجيل نتائج الملاحظة.

– الملاحظة بعناية وبشكلٍ متفحِّص.

– تحسُّن مستويات الصدق والثقة والدقَّة إلى حدٍّ كبير بقيام نفس الملاحظ بملاحظاته على فترات متعدِّدة،

أو عندما يقوم عدد من الملاحظين بتسجيل ملاحظاتهم وكلٌّ منهم مستقلٌّ في ملاحظته عن الآخر.

3– أبرز شروط الملاحظة العلمية: [10]

أ –موضوعية الملاحظة: بمعنى البعد عن الذَّاتية، وحتَّى يتحقَّق ذلك ينبغي أن يبتعد الباحث عن أهوائه وميوله وأفكاره لكي يلاحِظ الظَّواهر كما تبدو؛

ب –كُلِّيَّة الملاحظة: أي عدم إهمال أيّ عنصر من عناصر الموقف المُلاحَظ؛

ج –استخدام الأدوات العلمية في الملاحظة بعد التأكّد من سلامتها وكفاءتها؛.

د –تمسُّك الملاحِظ بالرُّوح العلميّة والصِّفات العقليَّة والخُلُقيَّة من حيث التَّحلِّي بروح النَّقد والتدقيق والشَّجاعة مع الإيمان بالمبادئ العلمية.

4– أهمية الملاحظة في البحث العلمي:

يقول أحد الباحثين:"ليس ثمة بديل يُغني عن الاندماج الشخصي الذي توفره الملاحظة للباحث في ميدان بحثه، ولا توجد أداة تعادل الملاحظة في القدرة على توليد وابتكار أفكار جديدة لدى الباحث(...)".[11]

وتفيد الملاحظة في الدراسات السياسية **من عدة نواحي:**[12]

– في فهم أنماط التفاعلات السياسية وأخذ صورة حية عن تصرفات أفراد والجماعات؛

– في دراسة عملية اتخاذ القرارات في المؤسسات السياسية، أو ملاحظة الحملات الانتخابية، أو مدى التزام الأنظمة بالدساتير والقوانين التي يصدرونها؛

– في فهم الطريقة التي يتصرف بها إزاء المواقف المختلفة، وإمكانية رصد التلقائية التي يتصرفون بها؛

– في معرفة المؤثرات التي تؤثر في الجماعات والتنظيمات، ودرجة كل مؤثر ومستواه.

5 – أنواع الملاحظة:

يحتاج الباحثون في بعض أبحاثهم إلى مشاهدة الظاهرة التي يدرسونها أو قد يستخدمون مشاهداتِ الآخرين، وبغض النظر عن ذلك، فإنَّ ملاحظاتِ الباحثين تأخذ عدَّة أشكال، حسب المتغير الذي يعتمده المختصون في عملية تصنيف أساليب الملاحظة:

أ/ فحسب معيار القصدية نجد:

- **الملاحظة العادية:** ويقوم بها كل انسان في حياته الاعتيادية ولا تكون بغرض ، الدراسة أو البحث، ولا في اختبار فرضيات أو كشف الحقائق ومع ذلك يعتبرها البعض بداية للملاحظة العلمية.
- **الملاحظة العلمية:** هي أسلوب علمي يعتمده الباحث قصد الوصول إلى حقائق حول الظاهرة الواقعة تحت الملاحظة. وتكون مدروسة ويتم التحضير لها مسبقا، بوضع خطة، وتدريب الملاحظين، وتحديد الظاهرة الواقعة تحت الملاحظة(...).[13]

ب/ حسب معيار الظهور أو التستر نجد:[14]

- **الملاحظة المستترة:** تكون في الحالة التي يرغب فيها الباحث في ملاحظة الظاهرة محل الدراسة والاقتراب من عناصرها لكن من دون ازعاج من يلاحظهم، بما يعني فهم الوضع في إطاره الطبيعي

والعمل كغائب.

- **الملاحظة المكشوفة:** وهي التي تتم من دون حاجة الباحث إلى إخفاء نيته عن عناصر الظاهرة محل الملاحظة، فيصبح المُلاحظ مقبولا لدى الأشخاص المبحوثين أي الواقعين تحت ملاحظته، شرط أن يضمن لهم سرية المسعى.

ج/ حسب معيار اندماج الملاحظ في الموقف المراد ملاحظته نجد:[15]

- **ملاحظة بالمشاركة؛** وفي هذه الحالة يكون الباحث عضوا في الظاهرة محل الدراسة، ما يُيسر له الإطلاع أكثر وعن قرب بكل التفاصيل التي يريد الوصول إليها.
- **ملاحظة دون مشاركة الباحث؛** بحيث يكتفي الباحث بمراقبة الأنشطة وسلوك الأفراد أو تفاعلات التنظيمات السياسية... محل الدراسة دون أن يشارك فعليا في هذه الأنشطة، بل يكتفي بتسجيل ملاحظاته وتحليلها وتوظيفها في الدراسة.

6 – مزايا وعيوب الملاحظة: [16]

مما لاشك فيه أن الملاحظة أصبحت من أكثر الأدوات استخداما وصدقا في جمع البيانات حول الظاهرة محل الدراسة، خاصة إذا ما تم استخدامها بشكل علمي وموضوعي للتمييز بين الأحداث أو الربط بينها، مع الدقة في تدوين الملاحظات، لكن ذلك لا يمنع من ظهور مميزات وعيوب لهذه الأداة نختصر بعضها في:[17]

أ/ المزايا: هي سمات من شأنها حث الباحث على استخدام الملاحظة أهمها:

– أفضل طريقة مباشرة لدراسة عدَّة أنواع من الظواهر؛ إذْ أنَّ هناك جوانب للتصرُّفات الإنسانيَّة لا يمكن دراستها إلاَّ بهذه الوسيلة.

– لا تتطلَّب جهوداً كبيرة تبذل من قبل المجموعة التي تجري ملاحظتها بالمقارنة مع طرق بديلة.

– تمكِّن الباحث من جمع بياناته تحت ظروف سلوكيَّة مألوفة، أوجمع حقائق عن السلوك في وقت حدوثه.

– أنَّها تسمح بالحصول على بيانات ومعلومات من الجائز ألاَّ يكون قد فكَّر بها الأفرادُ موضوعُ البحث حين إجراء مقابلات معهم أو حين مراسلتهم لتعبئة استبانة الدراسة.

ب/ العيوب: مع وجود المزايا السابقة فهناك عيوب للملاحظة تتَّصل بجانبها التطبيقيِّ وبمقدرة الباحث أبرزها ما يأتي:[18]

– قد يعمد الأفرادُ موضوع الملاحظة إلى إعطاء الباحث انطباعاتٍ جيِّدة أو غير جيِّدة؛ وذلك عندما يدركون أنَّهم واقعون تحت ملاحظته.

– قد يصعب توقُّع حدوث حادثة عفويَّة بشكلٍ مسبق لكي يكون الباحث حاضراً في ذلك الوقت، وفي كثير من الأحيان قد تكون فترة الانتظار مرهقة وتستغرق وقتاً طويلا.

– قد تعيق عوامل غير منظورة عمليَّة القيام بالملاحظة أو استكمالها.

– قد تكون الملاحظة محكومةً بعوامل محدَّدة زمنياً وجغرافيّاً فتستغرق بعض الأحداث عدَّة سنوات أو قد تقع في أماكن متباعدة ممَّا يزيد صعوبة في مهمَّة الباحث، أو تميل إلى إظهار التحيُّز لاختيار ما يناسب الباحث.

---

1 – ما هي أدوات البحث العلمي؟"، أكاديمية BTS، على الموقع الالكتروني: [redacted]

17 ـ كمال دشلي، المرجع السابق، ص 92. انظر أيضا مدونة أحمد الشهراني، المرجع السابق.
18 ـ المرجع نفسه، ص ص. 92–93.